جوانب من الأدوار الجهادية لصوفية المغرب: سيدي محمد العربي المدغري الدرقاوي نموذجا.

أ. د قاسم الحادك*

مقدمة: برزت الزاوية الدرقاوية منذ نشأتها كمؤسسة صوفية تمتعت بتأثير كبير في جميع المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية، جمعت بين العبادة والتصوف ونشر العلم وتوفير الأمن والحماية للناس، واستنفارهم وتعبئتهم لمواجهة التهديدات الأجنبية. وبمجيء الاستعمار الفرنسي وشروع قواته في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية في الأراضي المغربية انطلاقا من الجنوب الشرقي المغربي وتدشينها لمسلسل التغلغل العسكري بالقضم التدريجي للأراضي المغربية عبر احتلالها للواحات الجنوبية الشرقية، بعد أن عبأت إمكانات مالية وعسكرية ودبلوماسية هائلة، ونجحت بفضل سلسلة من الاتفاقيات والبروتوكولات في إبعاد الدول المنافسة لها والانفراد بالمغرب، وقفت جل الزعامات القبلية والصوفية الدرقاوية في وجه غزو جيوشه، وانبرت للدعوة إلى الجهاد وحث القبائل على تنظيم المقاومة، ممثلة تيار المقاومة والجهاد أحسن تمثيل، بانخراط زعاماتها في مهمة استنهاض القبائل وتحسيسها بمخاطر المخططات الاستعمارية وتعبئتها لمواجهة الغزو الفرنسي، مما يفسر اكتساح الزاوية الدرقاوية لمختلف مناطق المغرب وقتذاك وتفوقها على باقي الزوايا والطرق الصوفية التي كانت تفقد أتباعها بسرعة لصالحها، ومن ثم قدم الدرقاويون في هذا الظرف الدقيق والحرج من تاريخ المغرب زعامات صوفية وقبلية كان لها شأن كبير في تنظيم المقاومة والجهاد.

فكيف تعامل الزعيم الدرقاوي سيدي محمد العربي مع هذه التحرشات العسكرية الفرنسية؟ وما هي تفاصيل النشاط الجهادي الذي خاضه هذا الشيخ الدرقاوي؟ وإلى أي حد نجح في تجاوز حالة الانقسام الذي كانت تعيشه قبائل الجنوب الشرقي المغربي؟ وما موقف المخزن من تحركات الشيخ الدرقاوي؟

* - أستاذ في تاريخ المغرب المعاصر - كلية الآداب والعلوم الإنسانية وباحث في تاريخ المقاومة المغربية وجيش التحرير - المغرب.

1- دعوة سيدي محمد العربي إلى المقاطعة التجارية للأسواق والبضائع التابعة للسلطات الفرنسية: بعد ظهور الطريقة الدرقاوية[1] وانخراطها في القضايا السياسية، وإعلان جل ممثليها وأتباعها عن مواقفهم الراديكالية الرافضة لكل تدخل أجنبي، كان من الطبيعي أن تجد مبادئها وأفكارها التربة الخصبة في المناطق البعيدة عن المخزن المركزي[2] مثل مناطق الجنوب الشرقي[3]، وأن يصل إشعاعها وصيتها إلى المناطق الحدودية.

يعود الفضل في انتشار الفكر الدرقاوي في مناطق الجنوب الشرقي إلى سيدي محمد العربي[4] ابن القاضي المدغري الشهير سيدي محمد بن الهاشمي، الذي كان سباقا إلى تأسيس فروع درقاوية للزاوية الأم. ازداد سيدي محمد العربي في مدغرة سنة 1216هـ-1801م من عائلة علوية شريفة[5]، توجه وهو صغير إلى فاس لدراسة الفقه وأصول الدين على يد الشيخ الدرقاوي أحمد بدوي تلميذ مولاي العربي الدرقاوي مؤسس الطريقة الدرقاوية، وبعد أن تلقى المبادئ الدرقاوية واكتسب سمعة كبيرة في الورع والحكمة، عاد إلى بلاد مدغرة على الضفة اليسرى لزيز الأوسط[6] فأسس قرب مسقط رأسه زاوية كاوز، واستطاع هذا الشيخ الدرقاوي أن يستميل أعدادا كبيرة من الأتباع والطلاب[7] من كل أنحاء الجنوب الشرقي ومن جنوب غرب الجزائر.

وقد جعلت هذه الصفات العلمية والمميزات الروحية سيدي محمد العربي من أشهر الشخصيات الدينية والصوفية في منطقة الجنوب الشرقي التي تولت مهمتي تأطير وتوعية المجتمعات القبلية، وهو ما أهله لتبني الدعوة إلى الجهاد والوقوف في وجه التغلغل العسكري الفرنسي[8].

خاض الشيخ الدرقاوي سيدي محمد العربي نشاطا جهاديا متنوعا ضد كل أشكال التغلغل الأجنبي في المغرب، فاتجه في البداية إلى تعبئة الأوساط القبلية وتحذيرها من مخاطر التعاملات التجارية مع مراكز الجيش الفرنسي المتواجدة على الحدود والأسواق التجارية التابعة للفرنسيين وعيا منه بالأهمية الكبرى لسلاح المقاطعة التجارية باعتباره وسيلة أساسية من وسائل التصدي للغزو الفرنسي الرامي إلى جر القبائل المغربية إلى دائرة المبادلات التجارية، سواء بهدف خلق مصالح مشتركة تمكنهم من كسب قوى قبلية إلى معسكرهم[9]، أو بغية فتح اقتصادها على الاقتصاد الرأسمالي، ومن ثم القضاء على التوازن التقليدي الذي ميز هذه المجموعات القبلية وتعريضه لأزمات من نوع جديد، خصوصا وأن فرنسا لم تكن أغراضها تجارية محضة، بل كان

ذلك يندرج ضمن مسلسل يستهدف إضعاف مناعة البلاد وتهيئتها للسيطرة الأجنبية[10]؛ فقد عملت سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر على تعبئة كل الإمكانيات بغية تنشيط العلاقات التجارية مع مناطق الجنوب الشرقي المغربي، إذ أسست لهذا الغرض لجنة تتكلف بتنظيم وتطوير تجارة القوافل بين الأسواق الفرنسية بالجزائر والقبائل المغربية[11]، من خلال العمل على تأمين طرق القوافل وتسهيل المواصلات وتخفيض أثمان البضائع حتى تصبح مغرية، وتوفير المواد الضرورية التي يحتاجون إليها، خصوصا المواد الغذائية كالشعير والقمح والصوف. وكانت السلطات الفرنسية تهدف من وراء هذه الإجراءات إلى صرف أغلب القوافل التجارية عن اتجاهها الأصلي نحو مراكش وفاس وجذبها نحو الأسواق الجزائرية[12]، انطلاقا من وعيها بالدور الكبير الذي تقوم به التجارة في جذب واستمالة الأوساط القبلية في المنطقة وربطها بالتبعية التجارية والاقتصادية للفرنسيين[13].

وقد وجد الشيخ الدرقاوي نفسه في مواجهة طبقة من التجار كانت تدافع بقوة عن توطيد العلاقات التجارية مع الفرنسيين، والاستفادة من الامتيازات التي يوفرها هذا التعامل التجاري[14]، والمتمثلة في استيراد السلع الأوربية من الأسواق الفرنسية بأثمان أقل بكثير من فاس، بالإضافة إلى عدم وجود ضرائب في الموانئ الجزائرية وعدم وجوب دفع الزطاطة الذي كان يجعل الثمن مرتفعا عبر الطريق التي تعبر الأطلس[15].

وقد تجسد هذا النشاط الجهادي للشيخ الدرقاوي في العديد من المنشورات والاستنكارات والفتاوى التي تستند إلى نصوص شرعية (آيات قرآنية وأحاديث نبوية) تعبر عن رؤية سياسية ودينية جريئة ومتطورة، حيث وزع في سنة 1863م منشورا مطولا يحذر فيه من عواقب تواجد الأجانب[16] واستقرارهم بالسواحل المغربية وتعاطيهم للأنشطة الاقتصادية "وتهافتهم على السكنى فيها وأخذهم في البناء بها"[17]، لا سيما بعد حربي إسلي وتطوان وما رافقهما من اتفاقيات ومعاهدات انتقصت من السيادة المغربية، وبخاصة الاتفاقية التجارية التي أبرمها المغرب مع إسبانيا سنة 1861م، والتي تولى بموجبها موظفون إسبان استخلاص الضرائب بالمدن الساحلية، فضلا عن الشروط الأخرى التي نصت عليها المعاهدة التجارية كالترخيص لإسبانيا بإنشاء لجنة قنصلية بمدينة فاس، والتنازل لها عن أراضي حول سبتة ومليلية ومنحها مركزا ساحليا للصيد بالمناطق الجنوبية، وفتح الباب على مصراعيه أمام المبشرين الإسبان للتنقل في أرجاء المغرب. وقد أكد الشيخ الدرقاوي- في لهجة حازمة- على ضرورة

تأهب الجميع لمواجهة هذه المخاطر، إذ يقول في هذا المنشور: "...ومقدمة البوار، الأمن من عدو الدين، وعدم المبالاة بما يفعله في أرض المسلمين، وترك التفطن إليه حتى يصير يأمر وينهي، ويمتثل أمره في سواحل أهل الإيمان والدين، ولا يتفطن وينتبه إليه حتى يتفاقم الواقع ويتسع الخرق على الراقع..."[18].

كما كتب سنة 1885م إلى كافة قبائل الجنوب الشرقي المغربي ينبهها إلى مخاطر التعامل التجاري مع مراكز وأسواق الجيش الفرنسي قائلا: "إلى كل من يبلغه كتابنا هذا من جميع إخواننا المسلمين... فاعلموا أن الله تبارك وتعالى نهى جميع المسلمين وجميع المحسنين...من موالاة ومودة ومحاباة أعدائه بأي وجه كانت الموالاة...واعلموا أنه لم يزل يبلغنا عن المسلمين أنهم لا يزالون يطلقون لأعداء الله وأعدائهم ما أغناهم الله وقواهم به على الثبات على دينه من خيل وإبل وبارود وشياه وبهائم وثياب وصوف وغير ذلك، بعدما بلغنا أنهم قطعوا الكبريت عن المسلمين منذ زمان، وكثرت علينا الأخبار والمراسلات بهذا الأمر، ولم يبالوا ولم ينتبهوا ولا تفطنوا لما أصابهم، وأحزننا ذلك غاية وأكربنا غاية"[19].

وقد سعى الشيخ الدرقاوي من خلال هذه الرسائل والمنشورات إلى الحيلولة دون دخول القبائل المغربية في علاقات تجارية مع الفرنسيين والتعامل مع الأسواق التابعة لهم، وقطع الطريق أمام السلطات الفرنسية التي كانت تسعى في بادئ الأمر إلى الحصول على بعض احتياجاتها من المنتجات الفلاحية واليد العاملة، خصوصا وأن أشغال مد خطوط السكك الحديدية وشق الطرق وأعمال البناء كانت تتطلب يدا عاملة من القبائل المجاورة، لذلك نجد الشيخ محمد العربي يحذر من مساعدة هذه القوات الفرنسية وتقديم العون لها، حيث كتب في نفس السنة إلى أحد تلامذته في فجيج "أن النصارى يمدون فيه الطريق ليجتازوا منه لداخل المغرب وأن الخدمة الذين يخدمون معهم يأتون من ناحية تافيلالت، فحذرهم من إعانة النصارى بأي خدمة كانت"[20].

فهل نجحت رسائل الشيخ الدرقاوي وتحذيراته في لجم القبائل وخصوصا الأوساط التجارية وإقناعها بوقف علاقاتها مع الفرنسيين وعدم الانجرار وراء إغراءات المعاملات التجارية معهم؟

لقد كان الشيخ يدرك من خلال دعواته لتجنب التعامل الاقتصادي مع الفرنسيين بأن التجار والعمال لا يحملون السلع والبضائع فقط، لكنهم يحملون أيضا الأخبار والأفكار[21]،

فكانت الأسواق مراكز للتواصل والدعاية تستغلها السلطات الفرنسية لمعرفة أخبار المقاومين وتجنيد المخبرين.

وإذا كانت بعض التقارير الفرنسية قد أشارت إلى أن العديد من التجار قد رحبوا بالتوسع الفرنسي لما فيه من دعم كبير لتجارتهم في المنطقة، حيث بدأت القوافل التجارية تصل إلى عين الصفراء من فجيج وحتى من تافيلالت بمجرد إنشاء سوق في المنطقة[22]، فإن تقارير أخرى أكدت فتور المعاملات التجارية وانخفاض وتيرة المواصلات في الطريق إلى تلمسان بمجرد بدء الدعوات إلى الجهاد[23].

الأكيد أن دعوات الشيخ المدغري لمقاطعة الفرنسيين تجاريا لقيت تجاوبا كبيرا في الأوساط القبلية نظرا للمكانة الروحية التي كان يتمتع بها[24]، "فمن أجل هذه المكاتب قامت الناس وقعدت متأثرة بذلك"[25]، ويكفي للدلالة على الصدى الكبير الذي وجدته هذه الرسائل أن نورد رسالة من وجهاء السفالات إلى الشيخ الدرقاوي لإخباره باستجابتهم لتعاليمه وترحيبهم بها، "...فاعلم أنه لما أتى مولاي علي بن الحسين بكتابكم الذي مضمنه الزجر والردع لكل من يسافر بأي سلعة كانت...قام أعيان فقراء السفالات لذلك على ساق الجد، وقدموا لبلاد مولاي المستعين بالسوق وجمعوا جماعات الشرفاء وتافيلالت والغرفة وبني محمد...وقرأوا عليهم ذلك الكتاب...وتعاقدوا على أن كل من سافر بشيء لتلك الناحية يؤخذ ماله ويؤكل ولا شيء على من أكله، ونادوا بذلك في أسواقهم وأرسلوا لذوي منيع وجميع نواحي تافيلالت...ليكون ذلك في علم الجميع ولا زال أهل تافيلالت على تلك العقدة..."[26].

لقد كان الجميع ومنهم الشيخ محمد العربي يدرك صعوبة تطبيق المقاطعة التجارية وتعذرها من الناحية العملية بسبب عوامل عديدة نجملها فيما يلي:

- تجذر الروابط الاجتماعية والتجارية بين شرق المغرب وجنوبه الشرقي من جهة، وغرب الجزائر من جهة أخرى منذ قرون وليس من السهل فرض قطيعة بينهما حتى وإن خضع الطرف الآخر لسلطة غير إسلامية.
- ارتباط قبائل الجنوب الشرقي في تموينها بالسلع والمواد الغذائية من الأسواق الجزائرية، بسبب وعورة المسالك مع فاس عبر الأطلس وانعدام الأمن فيها مما يضطر التجار إلى دفع الزطاطة وهو ما يجعل الثمن مرتفعا.

ومما زاد من صعوبة مهمة الشيخ الدرقاوي تخلي المخزن المركزي عن قرار المقاطعة التجارية البرية مع المستعمرة الجزائرية واعترافه بالأمر الواقع على الحدود، وسعيه إلى ربط علاقات جوار مبنية على الاحترام المتبادل[27].

لكن رغم هذه الفوائد العديدة التي كانت توفرها التجارة الجديدة، والامتيازات الكثيرة التي قدمتها السلطات الفرنسية بالجزائر والمتمثلة في التخفيض من التعريفة الجمركية على المواد المخصصة للمغرب والصحراء وتمديد خط السكك الحديدية إلى عين الصفراء، فإنه لم يحصل التغيير الجوهري الذي كانت ترغب فيه السلطات الفرنسية والمتمثل في إعادة توجيه تجارة الجنوب الشرقي نحو الغرب الجزائري[28].

2- دعوة سيدي محمد العربي الدرقاوي إلى الجهاد: انطلاقا من موقفه الرافض للتدخل الأجنبي، لم يكن أمام الشيخ محمد العربي الدرقاوي من خيار سوى معارضة التحركات السياسية والعسكرية الفرنسية، وكشف الأهداف الخفية لمخططاتها التوسعية الرامية إلى توسيع إمبراطوريتها الاستعمارية، وهو ما جسده الشيخ الدرقاوي طيلة 30 سنة ظل خلالها يترصد التدخل الإمبريالي الذي أصبح المغرب مسرحا له[29]، ويعمل على توعية المجتمعات القبلية لمناطق الجنوب الشرقي المغربي وتأطيرها وإقناعها بضرورة الوقوف في وجه الآلة العسكرية والسياسية الفرنسية[30].

هكذا إذن ومنذ سنة 1863م أي مباشرة بعد توقيع المغرب لعدة معاهدات واتفاقيات غير متكافئة انتقدها العديد من العلماء بالنظر إلى الخطورة التي شكلتها على سيادة المغرب واستقلاله، أصدر محمد العربي منشورا يدعوا فيه إلى الجهاد لمواجهة كل أشكال التغلغل الاستعماري يقول فيه: "...ومعلوم أن ملتي الإسلام والكفر ضدان وهما لايجتمعان بالقوة والفعل في قطر واحد...فلهذا أمرنا بأخذ الحذر...والمسلمون لا مندوحة لهم عن القتال إما أن يقاتلوا الكفر لنصرة دين الله، وإما أن يستولوا فيحملوا المسلمين على قتال إخوانهم قهرا، ولا بد لنا من أحدهما، وقد اختارت لنا الشريعة المطهرة التي بها صلاح الدنيا والدين مقاتلتهم ومنازلتهم، وإغزاء طائفة منا في كل سنة إلى بلادهم: تدعوهم إلى الإسلام، وترغبهم فيه وتكف أذاهم..."[31].

وقد حاول الشيخ الدرقاوي من خلال هذا المنشور العمل على استنهاض الطاقات القبلية وتعبئتها ولم شملها وحثها على ضرورة تناسي الضغائن وتجاوز الحسابات الضيقة السائدة بينها،

"...ولا يخلصنا ويخرجنا من عهدة الوجوب، وما أتانا به الرسول الطاهر المحبوب، سماع أخبار اجتماع أجناس الكفرة ومظاهرتهم على قتالنا، بالوعد بأنهم يد واحدة على منازلتنا: أن لا نستعد لقتالهم ولا نظهر القوة والعدة والاستعداد لمحاربتهم، إذ المتوقع منهم هو الواقع، وتحصيل للحاصل، أليست الملتان متضادتان إسلاما وكفرا؟ فلو قوتلت شيعة منهم، وبفضل الله انهزمت وانكسرت شوكتها، وقلت حدتها، ما عادت شيعة أخرى لحربنا، لنصرنا ربنا..."[32].

وبغية إلهاب حماس القبائل المغربية وإقناعها بأن الجهاد هو الخيار الوحيد الكفيل بدحر القوات الفرنسية والوقوف في وجه سياسة فرنسا التوسعية في المنطقة، عمد الشيخ الدرقاوي في منشوره سالف الذكر كما في رسائله التي سنأتي على ذكرها إلى الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية تحث على الجهاد وتعلي من شأن المجاهدين، كما عمد في نفس الإطار إلى إيراد فتاوى عديدة لعلماء مسلمين أفتوا فيها بوجوب الجهاد وضرورته، "ولهذا أفتى سيد شقرون بأن الجهاد في هذا الوقت فرض عين...لأنهم إذا نزلوا بساحات المسلمين فالجهاد فرض عين ولا خلاف لهذا القول، واليوم قد نزلوا ساحات وهتكوا ستارا وحرمات وأخذوا معاقل وحصونا وسبوا قبائل وبطونا وهم إذا فعلوا ذلك تعين على إمام الوقت ورعيته أن يستنقذوا ذلك..."[33].

كما أورد الشيخ محمد العربي في منشوره فتوى أخرى للعالم سيدي العربي الفاسي يقول فيها :"...لا يبرأ المسلمون من عهده المدافعة ونصر من عجز إلا إذا استفرغوا الوسع في إزاحة الكفار من المدائن التي أخذوها من المسلمين، فلو نزلوا عليها ولم تفتح وجب عليهم معاودتها كلما أمكنهم ذلك حتى يفتحها الله عليهم...ولا فرق في ذلك بين المدائن المأخوذة من المسلمين قديما أو حديثا..."[34].

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر كثف الشيخ الدرقاوي من دعايته وتحريضه وضاعف رسائله بعدما باشرت قوات الغزو الفرنسي زحفها على الواحات المغربية، وتابعت انتشارها كبقعة الزيت في انتهاك سافر للتراب المغربي وسيادته واستفزاز كبير لمشاعر المغاربة. وقد أكد الفرنسيون أنفسهم حقيقة هذا النشاط المكثف للشيخ محمد العربي الدرقاوي، إذ أشار القنصل الفرنسي بطنجة **Ferauld** في برقية حكومية إلى انتشار نداءات الجهاد الصادرة عن الشيخ الدرقاوي الذي "بعث بالعديد من الرسائل لكل القبائل الواقعة بين سوس وواد نون والتي قبلت دعواته بدون تردد"[35].

أما La Croix (N) مدير قسم الشؤون الأهلية بالجزائر فقد أشار بدوره إلى المعارضة التي لقيتها المشاريع التوسعية الفرنسية من قبل الشيخ محمد العربي[36]؛ حيث أكد "شروع الشيخ الدرقاوي، رغم تقدمه في السن، في تحريض القبائل على الجهاد بمجرد تمركز القوات الفرنسية في عين الصفراء، ووصول نداءاته إلى قبائل الأطلس التي استجابت لدعوته وأبدت استعدادها لحمل السلاح..."[37].

وابتداء من سنة 1881م انطلق المخطط الاستعماري الفرنسي في أراضي التخوم بوتيرة عالية، حيث شرع الجيش الفرنسي في بناء مراكز عسكرية بمناطق متقدمة بدعوى حماية المعمرين. وقد كشفت إقامة هذه المراكز العسكرية عن النوايا الحقيقية للفرنسيين وطبيعة مخططاتهم الاستعمارية، فكان الشيخ الدرقاوي محمد العربي "ممن اكتوى بنار تلك الحوادث للقرب من الحدود الجزائرية"[38]، فبادر إلى التنديد بهذه التحرشات والاعتداءات، وعمل على التواصل مع مختلف مكونات المجتمعات القبلية للمنطقة لتعبئتها وتأطيرها ودعوتها إلى تبني الجهاد وإحيائه باعتباره الحل الأمثل والوسيلة الوحيدة الكفيلة بمواجهة التغلغل الاستعماري، وأخذ "يكاتب المعتقدين فيه من القبائل الصحراوية والبربرية مكاتب كلها حث وتحريض على الدفاع عن حوزة الإسلام وحماية الوطن"[39].

وفي سنة 1888م ضاعف الشيخ من نشاطه الدعوي الجهادي وأرسل مبعوثين عنه إلى قبائل المنطقة بغية استنفار طاقاتها استعدادا لحركة جهادية وشيكة. كما دعاها "إلى جعل عامين هدنة بينهم حتى يكونوا أمة واحدة...فأجابوا إلى ذلك واستعد أهل الجد منهم بما يحتاجون له من عدة وخيل وسلاح"[40]، وبعث في الوقت نفسه إلى السلطان مولاي الحسن يخبره باستعداد قبائل المنطقة لبدء العمليات الجهادية ضد القوات الفرنسية خلال فصل الربيع[41]، "فلما رأى- رضي الله عنه-من الحزم أن يشارك مولانا السلطان بالرأي السديد، أرسل له بعض أصحابه الملحوظين عنده بالتأييد، بعد أن عول على الخروج في فصل الربيع، فأضاف السلطان نحو شهرين، ولم يرجع من عنده إلا بخف حنين، والناس من أهل الجد يتحسسون الأخبار، وينتظرون: البدار البدار، والشيخ رضي الله عنه يأمرهم بالتأني وانتظار الفرج..."[42]. لكن رغم إصرار المخزن على تجنب أي توتر على الحدود[43]، واصل الشيخ محمد العربي مواقفه المناهضة للتدخل الفرنسي مطالبا السلطان بقيادة حملة واسعة ضد التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي[44].

وعندما قام مبعوث السلطان بزيارته في نفس السنة لمحاولة إقناعه بالتريث، وجد في ضيافته الشيخ بوعمامة[45] الذي انتقل من تيكورارين إلى مدغرة سنة 1888م[46] استجابة لدعوة الشيخ الدرقاوي في أفق الاستعداد لتنظيم حركة جهادية واسعة، حيث أخبر هذا الأخير مبعوث السلطان بأن قبائل المنطقة وخاصة آيت عطا وآيت يزدك وآيت حديدو وذوي منيع قد وعدته بما مجموعه ثلاثة عشر ألف محارب، كما ادعى أيضا أنه على اتصال مع شركة انجليزية ستزوده بكل ما يطلب من البنادق[47]، غير أن ذلك لم يتم.

وكان من النتائج المباشرة لرسائل الشيخ ونداءاته دخول الأوساط القبلية في المنطقة مرحلة من التعبئة العفوية ضاربة بعرض الحائط دعوات المخزن وممثليه لها بالابتعاد عن تأزيم الوضع وتعقيده، كما لم تعد تستسغ تطميناته ومطالبته لها بالسكون والهدوء وهي ترى القوات الاستعمارية تزحف على أراضيها في شكل كماشة[48]، فتأججت الروح الجهادية بهذه القبائل التي سارعت إلى خلق تحالفات ائتلافية عفوية تماشيا مع دعوات الشيخ محمد العربي الدرقاوي لها بضرورة تناسي الخلافات والمسارعة إلى الجهاد.

لقد كان الشيخ الدرقاوي يدرك الخلل الضخم في ميزان القوى بين المغرب والقوى الطامعة فيه، لذا عمد إلى محاولة إقامة نوع من التوازن انطلاقا من رفع معنويات الأوساط القبلية بموازنة نفسية وروحية ودينية بغية تعويض الضعف المادي بقوة روحية.

وهكذا عمل الشيخ محمد العربي وغيره من شيوخ الزوايا على استغلال الطابع الروحاني للذهنية المغربية وإيمان المغاربة بالفعل التوسلي وطلب العون الإلهي، مستغلين المكانة الدينية والصوفية المتميزة التي يتمتعون بها، وهذا ما كان له أثر بالغ في تشبثهم بالمقاومة رغم إمكاناتهم المتواضعة، مما يعني أن التعبئة النفسية الدينية التي انتهجها هذا الزعيم الدرقاوي قد أدت دورها. صحيح أن هذه العملية لم تحسم الأمور لصالح أصحاب الحق ولكنها على الأقل أقنعتهم بعدالة حركتهم وخلقت لديهم جوا تحريضيا وحماسيا.

3- رفض المخزن لدعوة سيدي محمد العربي إلى الجهاد: شكل رفض المخزن المغربي ومعارضته لكل المحاولات الجهادية التي تبنتها المكونات القبلية والصوفية للمنطقة عاملا حاسما أثر بشكل سلبي على المجهودات التي بذلها الشيخ الدرقاوي، وساهم بشكل كبير في الحد من فعالية تحركاته، "إذ لم تصلنا أخبار عن معارك دارت بين هذه القبائل البربرية والتافيلالتية والجيوش

الفرنسية إلا في عام 1908م رغم ما كان يذكيه هذا الشريف من حماس في القبائل المجاورة للحدود الجزائرية المحتلة"[49].

فما هي العوامل والخلفيات التي تحكمت في مواقف المخزن الرافضة لقيادة أي عمل عسكري (جهادي) لمواجهة المخططات الاستعمارية الفرنسية، وكيف تعامل الشيخ محمد العربي الدرقاوي وباقي الزعامات الدينية والقبلية بالمنطقة مع مواقف المخزن المركزي وممثليه؟ وما هي أبرز ملامح العلاقة بين الطرفين خلال هذه الفترة؟

إن تقييم مواقف المخزن وتفسير ردود فعله من حركات المقاومة، وإدراك العوامل والخلفيات المتحكمة فيها، تحتاج منا إلى تحليل للظروف الخارجية والداخلية الصعبة التي كان يعيشها المغرب خلال هذه الفترة، واستعراض الضغوط الهائلة التي كان يتعرض لها المخزن وممثلوه والتي أرغمته على تبني سياسة معقدة ومتنوعة.

لقد كان المغرب يعيش طيلة هذه الفترة من تاريخه مرحلة عصبية اتسمت بتدهور أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، واشتداد التحرشات الفرنسية التي شكلت تهديدا لمجتمعات المناطق الجنوبية الشرقية التي وعت خطورة المخططات الاستعمارية، وأدركت أن الخطر الذي أصاب جيرانهم قادم إليهم لا محالة، الشيء الذي دفع أعيان المنطقة وشيوخها إلى إبداء تخوفاتهم والاستنجاد بالمخزن المركزي ودعوته لتحمل مسؤولياته في الدفاع عنهم ودرء الأخطار المحدقة بهم آملين أن يزودهم بالإمدادات العسكرية الضرورية.

لكن رغم وعي المخزن بهذه المخاطر التي كانت تشكلها المخططات الاستعمارية على ساكنة المنطقة، فإنه لم يستجب بالجدية والسرعة اللازمتين لإلحاح الأوساط القبلية في المنطقة بضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقف الاعتداءات الفرنسية.

وهكذا عم الغليان واشتد الحماس الشعبي لدى الأوساط القبلية بمجرد بدء طلائع القوات العسكرية الفرنسية في اكتساح أراضي الجنوب الشرقي، وهي التي "لم تكن تنتظر ما هو أسوأ لإعلان الجهاد"[50]؛ فدخل الشيخ الدرقاوي في اتصالات مع مولاي رشيد الخليفة السلطاني بتافيلالت طالبا منه بلورة موقف واضح يستجيب لطموحات أهالي المنطقة، غير أن السلطان لم يكن مستعدا لإعلان الجهاد، وأصبح همه الأساسي هو العمل على تجنب أية مواجهة مباشرة مع القوات الفرنسية، وعدم إثارة أي مشكل أو اصطدام معها مبررا ذلك بأن "تصرفات هذا الشيخ تدفع بالمسلمين إلى الهلاك"[51].

لقد ترسخت لدى المخزن المركزي وممثليه قناعة ثابتة مفادها أن لا قبل للمخزن بالدخول في حرب مفتوحة مع القوى الاستعمارية، لا سيما بعد الحربين اللتين خاضهما خلال هذه الفترة وما تبعهما من اتفاقيات مذلة، ومن ثم توالت دعواته بضرورة التزام الهدوء والسكينة، "فأصدر أمرا سلطانيا لهؤلاء المتحمسين عامة وخاصة شيخهم الشريف الدرقاوي بالكف عن التدخل في هذه الميادين التي لا يدرون ما تكون عواقبها"[52].

ولمواجهة هذا الموقف المخزني الضعيف والمتساهل[53]، التفت الأوساط القبلية- التي لم تستسغ أن يلزمها السلطان باحترام حسن الجوار والهدنة مع دولة غير إسلامية احتلت بلاد المسلمين- حول الشيخ سيدي محمد العربي[54]، الذي لم يكتف بإعلان الجهاد من جانب واحد ضدا على الموقف الرسمي للمخزن، بل سعى للضغط على السلطان الذي أصبح في مأزق بفعل ازدياد الأعمال التحريضية للشيخ الدرقاوي، فمن جهة كان مسؤولا عن تقوية سياسة المخزن الهادفة إلى تجنب الاصطدامات المحلية مع القوات الفرنسية لتفادي حملات الانتقام واحتلال المزيد من الأراضي، وفي نفس الوقت كان مطالبا بالاستجابة لهذا الغليان الشعبي، مما جعله يخاطب الشيخ الدرقاوي في لهجة حازمة: "...مالي أراك تكثر الدخول والخروج وتشتغل بما لا يعنيك وتتخطى إلى الدرج سعيا في الولوج، فلتشتغل بما يعنيك. وإلا فاقرأ والسماء ذات البروج يتبين لك الحال ويتضح لك المقال..."[55]. كما عمد من خلال مجموعة من الرسائل والمبعوثين إلى تهدئة قبائل المنطقة وتسكين روعتها ودعوتها إلى التزام السكينة وعدم التحرش بالقوات الفرنسية على الحدود، وتحذيرها من الانجرار وراء تحريضات الشيخ الدرقاوي والاستجابة لنداءاته، وتوعدهم بالعقاب إن هم فعلوا غير ذلك. وهو ما يتضح بجلاء من المراسلة التي تمت بين النائب السلطاني والمفوض الفرنسي حول المجهودات التي قام بها المخزن المركزي لحث قبائل الجنوب الشرقي المغربي على عدم الانصياع لتحريض الشيخ الدرقاوي، حيث جاء بأن الشيخ محمد العربي الدرقاوي "قد كتب لقبائل هذه الإيالة وخصوصا لذوي التعصب منها كأهل سوس والصحراء...بالتحريض على الجهاد والنهوض إليه...فأصدر لهم مولانا نصره الله أمره الشريف بعدم الالتفات لذلك، وعرفهم بأنه لا زال مع دولتكم على ما هو عليه من المهادنة، وبأن كلام المذكور في ذلك حتى لقبائل الطاعة المنقاذين الذين يعلم منهم دام علاه أنهم لا يلتفتون لكلام الدرقاوي، والمكاتيب الشريفة بذلك لا زالت تحت أيدي القبائل المتعصبة وغيرهم من مكاتيب الدرقاوي بتحريضهم على الجهاد، فإذا وقع هجوم على

قبيلة فجيج يتحقق لهم ما كتب لهم به الدرقاوي، ويصير ثقة عندهم وتميل أنفسهم إليه ويساعدونه على ما كتب به، ولا تبقى لهم ثقة في المخزن"[56]. وفي نفس الإطار أرسل المولى الحسن إلى أهل توات قائلا: "خدامنا أهل توات...لا ينشغل بالكم من جانب الإقليم الجزائري لأنكم من رعايانا...ولا تخشوا من جانبه شيئا لأن اتفاقنا معهم لا زال قائما ومعاهدتنا ما تزال هي هي وحدود كل منا لم تنتهك..."[57].

لكن عندما رأى السلطان أن الأوامر الصادرة عنه وعن ممثليه والداعية إلى الهدوء والثبات لم تجد آذانا صاغية في الأوساط القبلية التي ظلت وفية لنداءات شيخ الزاوية الدرقاوية، قرر أن يتولى مهمة اجتثاث الخطر الذي تشكله هذه الزعامة الدينية على السياسة المخزنية، بتجريد حركة إلى تافيلالت بغية امتصاص غضب الأوساط القبلية وإسكات صوت الشيخ محمد العربي[58].

وبينما كان السلطان يضع اللمسات الأخيرة على زيارته للمنطقة في ربيع سنة 1893م توصل بنبأ وفاة زعيم الزاوية الدرقاوية الشيخ محمد العربي[59]. وقد خلف رحيله صدمة كبيرة في المنطقة، حيث عم الحزن والاستياء لأنه رحل في فترة عصيبة كانت فيها مجتمعات المنطقة أحوج ما تكون إلى شخصية مؤثرة تتمتع بهذه القوة والجرأة. لكن رغم رحيله في هذه الظروف الاستثنائية، و المشاكل التي عرفتها زاويته من صراعات ومنافسات، فقد بقيت قبائل المنطقة في مجملها متشبعة بأفكار ومبادئ الشيخ ووفية لدعواته الجهادية.

عموما فقد ارتكزت السياسة الخارجية للمولى الحسن على عدة ثوابث لمواجهة المخططات الاستعمارية الفرنسية، لعل أهمها اللجوء إلى الوسائل السلمية واعتماد أساليب الاحتجاج الدبلوماسي واستغلال تنافس القوى الأوروبية واللعب على تناقضات القوى الاستعمارية لإطالة أمد الاستقلال[60]. وهو ما يجعلنا نتساءل عن فعالية هذه السياسة المتبعة من قبل المخزن المركزي ودورها في إبطاء وتيرة التغلغل العسكري الفرنسي في أراضي التخوم.

إننا نعتقد أن طول مدة الغزو العسكري الفرنسي لقبائل الجنوب الشرقي المغربي وبطء تنفيذ مخططاته الاستعمارية لا يرجع بالدرجة الأولى إلى هذه السياسة التي تبناها المخزن، وإنما إلى الصراع الذي كان دائرا بين وزارة الخارجية الفرنسية والجيش الاستعماري الفرنسي، فرغم أن الحكومة الفرنسية كانت تعتبر هذه الأراضي الحدودية امتدادا طبيعيا لمستعمرتها الجزائر، ولا تعير اهتماما لمطالب السلطان[61]، فإنها لم تطلق العنان لقواتها ولم ترد الدخول في مغامرات

عسكرية قد تعرض امتيازاتها في المغرب للخطر[62]، أو تضيع مجهوداتها في العمل على إبقاء "المسألة المغربية" في حالة جمود، وبالتالي لجأت إلى انتهاج سياسة التوسع التدريجي السلمي بالاعتماد على المخزن[63]، وتجنب أي اصطدام عسكري قد يعرض قواتها لخسائر فادحة.

ومباشرة بعد وفاة السلطان المولى الحسن انزلق المغرب إلى وضعية تميزت باختلال التوازنات التقليدية[64]، وتمكن القوى الأجنبية من فرض وصايتها على السلطان الشاب المولى عبد العزيز، مما أدى إلى إضعاف سلطة المخزن المركزية وانعدام الأمن وانتشار الاضطرابات والثورات، فأدرك المخزن صعوبة مواجهة التغلغل العسكري الفرنسي وعدم مقدرته على تحمل صراع مسلح للدفاع عن أراضيه التي أصبحت تتآكل تدريجيا مفضلا نهج سياسة تقوم على الاحتجاج ومحاولة حل المشاكل دون اللجوء إلى استعمال القوة. وهكذا أصبح المخزن العزيزي يعمل كل ما في وسعه لتفادي استمرار عمليات المقاومة[65] بدعوى عدم منح ذريعة لتدخل القوات الفرنسية التي كانت تتعمد اصطناع التوتر وإيقاف كل أوجه التعاون.

ومع بداية القرن العشرين ازدادت الوضعية صعوبة؛ فأمام استمرار التحرشات الفرنسية وعمليات القضم المتتابعة للأراضي المغربية، أبان المخزن عن عجز كبير في الدفاع عن سيادته المنقوصة[66]، وأعلن أن أقصى ما يمكنه فعله لصالح قبائل الجنوب الشرقي المهددة هو إبرام اتفاقيات وبروتوكولات اعترف بموجبها بسيادة فرنسا على أجزاء واسعة من أراضي الجنوب الشرقي كانت قد سيطرت عليها قواتها بقوة السلاح.

لكن هذه البروتوكولات لقيت معارضة شديدة من قبائل المنطقة[67] التي أعلنت حالة التعبئة العامة بعدما يئست من وعود المخزن وسياساته، وهو ما يتضح بجلاء من خلال اطلاعنا على الرسالة التي بعثها ممثل المخزن في منطقة تافيلالت إلى السلطان والتي جاء فيها: "فليعلم سيدي أن هذا القطر السجلماسي لما ورد خبر ماوقع...مضاربة أهل توات مع النصارى، وأخذوا لهم القصر المسمى «عين صالح»، راج الناس هنا فيما بينهم، وصاروا يجتمعون مع بعضهم، ويتفاوضون فيما يكون عليه أمرهم...واتفقوا بينهم على...الهناء بينهم عامين، وأنهم تائبون إلى الله فيما كان بينهم من العداوة، وأنهم الآن إخوان...وعدوهم هو الرومي...وبعد اجتماعهم بالسوق المذكور طلقوا النداء في المداشير بقرب الإعلام بالجهاد...وقامت الناس على ساق في قضاء مآربه"[68].

وتماشيا مع هذه السياسة المخزنية القاضية بمنع كل انفلات لاتحمد عقباه،تم تكليف خليفة السلطان بمهمة إخماد هذا الغليان "...فأصدرنا أوامرنا الشريفة لعمنا مولاي رشيد بما يصدهم عما صمموا عليه من المقابلة ويسلك بهم سبيل السكينة، وحل ما تعاقدوا عليه بينهم ولزوم بلادهم وإبقاء المعاملة بينهم وبين جوارهم"[59]. وفعلا قام مولاي رشيد بمحاولة ثني هؤلاء؛ حيث كتب " للفريقين بأن لا يحضروا في الجمع المذكور، وأن لا يفعلوا شيئا إلا بالأمر الشريف إذا ورد عليهم بذلك..."[70].

أمام هذا الوضع أصبح السلطان مخيرا بين إعلان الجهاد مع ما يترتب على هذا القرار من تداعيات، أو الاستسلام للأمر الواقع على الحدود والتذرع بحل هذه المشاكل بالطرق السلمية والانصياع للضغوطات الاستعمارية والجنوح إلى المهادنة، وهو ما يؤدي إلى الرفض الشعبي[71].

لكن خيار الجهاد يبدو مستبعدا إن لم نقل مستحيلا بالنظر إلى قوة الضغوط التي كان يتعرض لها المخزن، في ظل نجاح القوى الاستعمارية في إجهاض كل تعبئة عامة لمكونات المجتمع المغربي بعد نسفها للجسور التي كانت قائمة بين هذه المكونات، وتكريس القطيعة بين المخزن المركزي وباقي المؤسسات المجتمعية من قبائل وعلماء وشيوخ الزوايا وبالتالي تعطيل آليات الجهاد. يقول ليوطي في هذا الصدد: "لقد أمكننا نشر النظام من بشار إلى البحر لأننا وجدنا أمامنا عناصر متفرقة استعملنا بعضها ضد الآخر. لو كنا وجدنا أمامنا كتلة مغربية لكنا في حاجة إلى وسائل ومصاريف من حجم آخر، ولو كانت هذه الكتلة قد وحدت بينها السلطة وكره الأجنبي والعصبية لكانت حالتنا خطيرة"[72].

وعموما، فقد كان الطرفان- أي المخزن وباقي مكونات المجتمع المغربي- يتبنيان مقاربتين مختلفتين إزاء إشكالية التغلغل الفرنسي؛ ففي الوقت الذي تعاملت فيه المؤسسة المخزنية مع التهديدات الاستعمارية بأساليب "متساهلة" تحكمت فيها معطيات دبلوماسية وتقييمات واقعية لموازين القوى، حملت خلالها مسؤولية الانتهاكات الفرنسية للزعامات الدينية والقبلية؛ فالفوضى وانعدام الأمن ناتجة بالأساس عن عدم امتثالها للأوامر المخزنية وعدم تعاونها مع ممثلي المخزن وعدم تقديرها لخطورة الأمر على المصلحة العليا للبلاد، والتي لم تكن- حسب السلطان- سوى إيقاف الجهاد والاعتراف بالأمر الواقع على الحدود ومراعاة واجب الجوار والالتزام بسياسة المهادنة التي أقرها المخزن مع السلطات الفرنسية المتربصة، خاصة وأن هذا الأخير قد دخل "في مهادنة مع الجيش الفرنسي بعقود ممهرة بإمضاء نوابهم"[73]. لذلك وجب

على الجميع الانصياع لموقف المخزن ومنحه الوقت اللازم والظروف الملائمة لحل المشاكل العالقة مع قوات الاحتلال في المناطق الحدودية بالحكمة والطرق السلمية، وبالتالي اعتبار المؤسسة المخزنية هي الجهة الوحيدة التي لها قرار السلم والحرب دون باقي مكونات المجتمع المغربي التي ستؤدي تصرفاتها لا محالة "لفتنة لا تخمد نارها"[74].

غير أن هذه السياسة المخزنية الرسمية لم تقابل بارتياح من قبل الأوساط الصوفية والقبلية في المنطقة التي رفضتها بشكل حازم، واعتبرتها تهاونا غير مقبول وعجزا واضحا عن الدفاع عن البلاد. كما اعتبرت مختلف البروتوكولات والاتفاقيات التي أبرمها المخزن مظهرا واضحا لضعفه وعدم قدرته على القيام بواجبه في الدفاع عن الأرض، وبالتالي أحست هذه الأوساط القبلية والدينية بتخلي المخزن عنها في مواجهة غزو "الكفار"[75] رغم نداءاتها المتعددة للاستنجاد به بصفته حامي البلاد والمدافع عنها بموجب عقد البيعة، ومن ثم رفعت راية الجهاد متجاوزة الموقف المخزني وغير آبهة به.

خاتمـــة: إذا كانت نداءات ودعوات ورسائل الشيخ محمد العربي الدرقاوي لم تترجم قيد حياته إلى حركة جهادية ضد القوات العسكرية الفرنسية، فإنها في المقابل قد أثارت الانتباه منذ البداية إلى خطورة المخططات الاستعمارية الفرنسية وهيأت قبائل المنطقة لمواجهة التحديات المقبلة، فبعد وفاة الشيخ أصبح الدرقاويون يمتلكون شبكة واسعة من الزوايا في كل الجنوب الشرقي المغربي. وامتد تأثير محمد العربي ليشمل كل مكونات المنطقة من فقهاء وشرفاء وشيوخ زوايا، وهي شخصيات كان لها باع طويل في تنظيم مقاومات الجنوب الشرقي والمساهمة في تأطير المجتمعات القبلية وتوعيتها بالأخطار التي تهددها. كما أظهر بعضهم روحا قتالية كبيرة أهلتهم ليصبحوا من أقوى الشخصيات الدينية في الجنوب الشرقي. وقد أرعب هذا الخطر الذي شكله رجال الدين المحاربين **Rinn** المتخصص في دراسة الزوايا والطرق الدينية، وجعله يعتبر وضع حد لهذا النشاط الديني والتحريضي الذي يمارسه هؤلاء الشيوخ من أولى الأولويات.

الهوامش:

*- ينتسب الدرقاويون إلى الشريف الإدريسي سيدي محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الزروالي، المزداد سنة 1737م بقبيلة بني زروال، وبها نشأ وحفظ القرآن، ثم رحل إلى مدينة فاس وأقام بها مدة درس خلالها على كبار العلماء. أسس مولاي العربي الطريقة الدرقاوية سنة 1786م في منطقة بوبريح بقبيلة بني زروال وهي الزاوية الأم للطريقة الدرقاوية. وسميت بذلك نسبة إلى جده أبي عبد الله محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة لأنه كان ملازما لدراقة تقيه في الحروب.

2 - شكلت البوادي المغربية خصوصا مناطق الجنوب الشرقي المغربي والأطلس المتوسط الوسط الأكثر ملائمة لانتشار الأفكار والمبادئ الدرقاوية، وقد ساهمت الظروف الطبيعية والمناخية القاسية التي تعيشها هذه المجتمعات القبلية في صياغة نفسيات وعقليات هذه الأوساط القبلية وجعلها أكثر قابلية لاحتضان الطرق والزوايا الصوفية التي شكلت تعاليمها ومبادؤها نوعا من الحصانة والاحتماء من الكوارث والأزمات واستجابة منطقية لنفسيتهم المهزوزة، كما يفسر هذا الانتشار السريع للزوايا الدرقاوية في هذه المناطق بالأصل القروي لمؤسسها ودعوته إلى نمط عيش يطبعه الزهد والتقشف وهو ما يتماشى مع ظروف عيش البوادي المغربية المتسم بالبساطة والخشونة.

3 - Spillmann Lieutenant, Etude inédite sur Les Confréries religieuses au Maroc, C.H.E.A.M, p.5.

4- حول الدور الذي قام به الشيخ سيدي محمد بن العربي في نشر الطريقة الدرقاوية في المجتمعات القبلية للجنوب الشرقي المغربي، يمكن الرجوع إلى :

-Michaux Béllaire, L'évolution politique de la Berbère sédentaire, A.M, 1912, p.22.
-Michaux Béllaire, Les confréries religieuses Au Maroc, A.M, Vol XXVII, Librairie Ancienne Honoré, Paris 1927, p.84.

- بن لحسن محمد، نظرية المقاومة من خلال مخطوط كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر: دراسة تنظيرية مع توثيق النص، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مرقونة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية- بني ملال، ج1997،III، ص394.

- روس إ.دان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للامبريالية الفرنسية 1881-1912، ترجمة أحمد أبو حسن، منشورات زاوية، الرباط، 2006، ص193.--- 5- نفسه.

6- Drague George, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Paris,1951, p.258.
7- Odinot Paul, L'importance politique de la confrérie Derquaoua, R.C,№5, Mai 1929, p.294.
-Quelques mots sur les Confréries religieuses Marocaines, R.C, №11, Novembre 1904, p.285.
8- Depont octave et Coppolani Xavier, Les confréries religieuses musulmanes, A. Jourdan, Alger,1897, p.508.

9- بوكبوط محمد، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار 1880-1938 صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نول، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص11.--- 10- برادة ثريا، نسف المؤسسات التقليدية وتمهيد الاستعمار الفرنسي، أعمال الندوة العلمية المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955 الجذور والتجليات، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية أكادير 1997،ص81.--- 11-العماري أحمد، توات في مشروع الحد والتطويق الفرنسي للمغرب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد الخامس، السنة 1989م، ص14.--- 12- نفسه.--- 13- نفسه، ص13.

14- توصل الفرنسيون بتقارير استخبارية تفيد بأن العديد من التجار قد رحبوا بالتوسع الفرنسي لما يتيحه من فرص تجارية يوفرها تدفق السلع والبضائع الأوروبية من خلال الاستفادة من التجارة الجديدة التي جاءت بها السكة الحديدية، انظر: روس ا.دان، م.س، ص191.--- 15- نفسه، ص131.--- 16- برحاب عكاشة، فكيك باب المغرب، مراسلات مختارة مغربية وفرنسية،دار أبي رقراق، الرباط، 2003،ص37.

17- المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، مطبعة الأمنية، الرباط، 1973، ص350.--- 18- المدغري محمد العربي الدرقاوي، مخطوط رقم 3353 د، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، 1863، ص70.--- 19- بن لحسن محمد، م.س، ص394.--- 20- نفسه، ص395.--- 21- روس إ.دان، م.س، ص151.--- 22- نفسه، ص191.--- 23- نفسه.

24 -B.C.A.F, №1, Janvier 1894, p.8.

25- بن لحسن محمد، م.س، ص396.--- 26- نفسه.--- 27-برحاب عكاشة، المغرب وفرنسا من سياسة حسن الجوار إلى الاحتلال العسكري 1901-1907، الرباط نيت، 2007، ص23.--- 28- روس إ.دان، م.س، ص:191.

29- تزلي عبد الله، الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت إزدك وآثاره العامة 1908- 1930، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب ظهر المهراز فاس، السنة الجامعية 2001-2002 ، ص82.

-Aouchar Amina, Colonisation et Campagne Berbère au Maroc , Afrique Orient ,Casablanca, 2005, p.76.
30- Berriau Lieutenant, Note sur L'oued Ziz, B.C.A.F, №5, Mai 1904, p126.

31- المدغري محمد العربي الدرقاوي، م.س، ص61.--- 32- نفسه، ص62.--- 33- نفسه، ص65.--- 34- نفسه.

35- Berque Jacques, L'intérieur du Maghreb : XIV-XIX éme Siècle, Paris, Gallimard, 1978, p.496.
36-Aouchar Amina, op.cit, p.77---- 37-Berque J, op.cit, p.497/La croix N, Les Darkaouas d'hier et d'aujourd'hui, Alger,1902, p.9.

38- بن لحسن محمد، م.س، ص394.--- 39- نفسه.--- 40- المنوني محمد، م.س، ص351.

41-Aouchar Amina, op.cit, p.77.

42- المنوني محمد، م.س، ص 352.--- 43- نفسه.

- Quelques mots sur les Confréries religieuses Marocaines,...op.cit, p.292.

44- روس إ.دان، م.س، ص 193.

45- يعد بوعمامة من أبرز المرابطين ورجالات التصوف الذين قادوا الثورة ضد الزحف العسكري الفرنسي في واحات الزوزفانة وفكيك، ولد هذا الثائر الشهير كما أسماه ليوطي سنة 1846م واستقر سنة 1874م قرب عين الصفراء، بدأ سنة 1880م الدعوة إلى الجهاد لطرد الفرنسيين من الجزائر، ولقيت نداءاته للجهاد استجابة واسعة في الأوساط القبلية للغرب الجزائري، اعتبرته التقارير العسكرية الفرنسية المسؤول الأول عن معظم نشاط المقاومة التي نشأت في الجنوب الشرقي المغربي.ينظر: نفسه ، ص189/بوكبوط محمد، م.س، ص24/العماري أحمد. م.س، ص18.

- Sayagh Said, La France et Les frontières maroco-algériennes1873-1902, Ed CNRS, Paris, 1986,p.64

46- بوكبوط محمد، م.س، ص24.--- 47-روس، إ.دان، م.س، ص194.--- 48- بوكبوط محمد، م.س، ص25.

49- بن لحسن محمد، م.س، ص397.--- 50- روس إ.دان، م.س، ص205.

51-Berque J, op.cit, p.497.

- رفض السلطان مولاي الحسن دعوة الشيخ الدرقاوي لأسباب مرتبطة بالخطورة التي يمكن أن تشكلها على كيان الأسرة الحاكمة وخاصة فيما يتعلق بردود الفعل الفرنسية، لذلك سارع إلى إرسال مبعوثين ورسائل إلى القبائل الجنوبية الشرقية يدعوهم فيها لعدم سماع دعوة الدرقاوي لجهاد النصارى، وكان شديد الانحراف عنه وكان من جملة أهداف حركته إلى تافيلالت سنة 1892م إلقاء القبض عليه، ينظر: مزيان أحمد، م.س، ص240.

52- بن لحسن محمد، م.س، ص397.--- 53- مزيان أحمد، م.س، ص242.

54 -B.C.A.F, №1, Janvier 1894, p.8.

55- بن لحسن محمد، م.س، ص397.--- 56- برحاب عكاشة، فكيك باب المغرب...، م.س، ص18.

57-مرزاق محمد، الصحراء الشرقية: دوافع الاحتلال وردود الأفعال، ندوة المقاومة المغربية في الجنوب الشرقي، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2000، ص83.

58 □ Lmoubariki M, La résistance du sud-marocaine à la pénétration française (1908-1934), Thèse de doctorat d'histoire, Université Lumière, Lyon II, Volume II, Année Universitaire 1990-1991, p.120.
-Quelques mots sur les Confréries religieuses Marocaines,...op.cit, p.293

59- Linares Dr, op.cit, p.33.--- - R.C, №7, Juillet 1929, p.38.

- Quelques mots sur les Confréries religieuses Marocaines,...op.cit, p.293.

60- مزيان أحمد، م.س، ص276.--- 61- روس، ادان، م.س، ص201.--- 62- نفسه

63-Lyautey H, Vers le Maroc, Lettres du Sud Oranais, 1903-1906, A,Colin, Paris, 1937, p.300.

64- بوكبوط محمد، م.س، ص28.

65-البوزيدي أحمد، درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني: دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية (1894-1935)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس،2003-2004،الجزء الأول، ص291.

66- نفسه، ص292.--- 67- المنوني محمد، م.س، ص 26.--- 68- انظر الرسالة كاملة عند: المنوني محمد، م.س، ص 31.---

69-نفسه، ص485.--- 70- نفسه، ص32.--- 71- روس إ.دان، م.س، ص 205.--- 72- ثريا برادة، م.س، ص90-89.

73- بن لحسن محمد، م.س، ص397.--- 74- نفسه.--- 75- بوكبوط محمد، م.س، ص28.

Abstract: ***This study is about the various jihadist activities that sheikh derkaoui sidi Mohammed larbi lamdaghri engaged in against all types of French invasion in morocco. As he participated in raising consciousness of the tribes of the southern east of morocco to the danger of colonial plans, and warning them of the danger of entering of these tribes into trade relationships with the French, and dealing with the markets related to them. As he was aware to boycotting as an essential means to attack the French invasion. He also objected to the political and army movement of the French which aimed at expanding its colonial empire.***

The jihadist attempts which sheikh sidi Mohammed larbi derkaoui were objected by the Moroccan makhzen, and this was a decisive factor that affected negatively the efforts invested by the leader derkaoui, and participated to a great extent in limiting effectiveness of his movement. This study also tried to evaluate the attitudes of the makhzen, and explain his reactions to movements of resistance through presenting the factors that affected the attitudes of the makhzen that objected to the leading of any military act against French colonial plans.